المحكم والمتشابه
في القرآن الكريم

دكتور/ محمد علي عبد القادر
الأستاذ المساعد بقسم التفسير

الحمد لله رب العالمين أنزل القرآن الكريم وجعله دستوراً لحياتنا وأثاب من تعبد بتلاوته . والصلاه والسلام على اشرف المرسلين الذى أكمل به الرسل وأتم به النعم فكان تشريف أمته تابعاً لتشريفه . وتكريم أمته مستمداً من تكريمه . قال تعالى « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا »(١) وقال تعالى « وما ارسلناك إلا رحمه للعالمين »(٢) .

أما بعد: فموضوع المحكم والمتشابه من موضوعات علوم القرآن التى لها أهميتها وخطرها بين موضوعات علوم القرآن فهذا الموضوع يتعرض للآيات القرآنية التى وصفت بأنها محكمه والآيات التى وصفت بالتشابه وعلى الباحث أن يتعرض لهـــذه القضيه فيكشف اللثام ويفتق الأكام ويزيل التعارض إن كان فى الظاهر تعارض ويوفق ما كان هناك مجال للتوفيق حتى تفهم كتاب ربنا على الوجه الذى يرضيه . قال الله تعالى « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر »(٣) .

وقبل الشروع فى تفصيل هذا الموضوع الفت القارىء إلى أنى سوف أتناوله على هذا النهج فأتحدث عن معنى كل من المحكم والمتشابه لغه وإصطلاحاً موفقاً بين الآيات فى هذا الصدد مبرزا أصل الخلاف وثمرته مبيناً الحكمة من المتشابه فى القرآن الكريم متعرضا لآيات الصفات ناقلا أراء العلماء مرجحا ما يميل له القلب ويسكن عنده الفؤاد والأمل فى الله كبير أن يمنحنا منحة فنستطيع أن نضع سمع القارىء وقلبه على الموضوع من اقرب الطرق وأيسر المسالك والله الموفق

---

(١) سورة المائده الآيه ٣ (٢) سورة الأنبياء الآيه ١٠٧
(٣) سورة القمر الآيه ١٧

مدخل إلى البحث :

الفرق بين المحكم والمتشابه

أنزل الله الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا . فرسم للخلق العقيدة السليمه والمبادىء القويمه فى أيات بينات واضحه المعالم . وذلك من فضل الله على الناس حيث احكم لهم أصول الدين لتسلم لهم عقائدهم ويتبين لهم الصراط المستقيم .

وتلك الآيات هى أم الكتاب التى لا يقع الإختلاف فى فهمها سلامة لوحده الامه الإسلاميه وصيانه لكيانها « كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون »(١) .

وقد تأتى هـــذه الأصول الدينية فى أكثر من موضع بالقرآن مع إختلاف اللفظ والعبارة والأسلوب إلا أن معناها يكون واحداً . فيشبه بعضها الآخر ويوافقه معنى دون تناقض أما ما عدا تلك الأصول من فروع الدين فان من أياتها من العموم والاشتباه ما يفسح المجال أمام المجتهـــدين الراسخين فى العلم حتى يردوها إلى المحكم ببناء الفروع على الأصول ، والجزئيات على الكليات وإن زاغت بها قلوب أصحاب الهوى .

وبهذا الإحكام فى الأصول والعموم فى الفروع كان الإسلام دين الإنسانيه الخالد الذى يكفل لها خيرى الدنيا والآخره على مر العصور والازمان .

---

(١) فصلت ٣

الإحكام العام والتشابه العام

المحكم لغة : مأخوذ من حكمت الدابة وأحكمت بمعنى منعت ، والحكم : هو الفصل بين الشيئين ، فالحاكم يمنع الظلم ويفصل بين الخصمين ويميز بين الحق والباطل ، والصدق والكذب ، ويقال حكمت السفيه وأحكمته : إذا أخذت على يديه ، وحكمت الدابة وأحكمتها : إذا جعلت لها حكمة : وهى ما أحاط بالحنك من اللجام لأنها تمنع الفرس عن الاضطراب .

ومنه الحكمة : لأنها تمنع صاحبها عما لا يليق ، وإحكام الشيء : اتقانه والمحكم : المتقن .

فإحكام الكلام إتقانة بتمييز الصدق من الكذب فى أخباره ، والرشد من الغى فى أوامره ؟ والمحكم منه : ما كان كذلك .

وقد وصف الله القرآن كله بأنه محكم على هذا المعنى فقال « ألر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير »(١) وقال « الر ، تلك آيات الكتاب الحكيم »(٢) .

فالقرآن كله محكم : أى أنه كلام متقن فصيح يميز بين الحق والباطل ، والصدق والكذب . وهذا هو الاحكام العام .

والمتشابه لغه : مأخوذ من التشابه : وهو أن أحد الشيئين الآخر ، والشبيه : هى ألا يتميز أحد الشيئين من الآخر لما بينهما من التشابه

(١) هود الآيه ١ (٢) يونس الآيه ١

عينا كان أو معنى قال تعالى « وأتو به متشابها »(١) أى يشبه بعضه بعضه لونا لا طعما وحقيقه وقيل متماثلا فى الكمال والجودة .

وتشابه الكلام : هو تماثله وتناسبه بحيث يصدق بعضه بعضا ، وقد وصف الله القرآن كله بأنه متشابه على هذا المعنى فقال « الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى »(٢) .

فالقرآن كله متشابه : أى أنه يشبه بعضه بعضا فى الكمال والجوده ، ويصدق بعضه بعضا فى المعنى ويماثله . وهذا هو التشابه العام .

وكل من المحكم والمتشابه بمعناه المطلق المتقدم لا ينافى الآخر ، فالقرآن كله محكم بمعنى الاتقان ، وهو متماثل يصدق بعضه بعضا ، فإن الكلام المحكم المتقن تتفق معانيه وإن اختلفت الفاظة ، فإذا أمر القرآن بأمر لم يأمر بنقيضه فى موضع آخر ، وإنما يأمر به أو بنظيره ، وكذلك الشأن فى نواهيه وأخباره . فلا تضاد فيه ولا اختلاف « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيرا »(٣) .

الإحكام الخاص والتشابه الخاص وأراء العلماء فى هذا الصدد :

يختلف العلماء فى تحديد معنى كل من المحكم والمتشابه اختلافات كثيره :

١ — منها أن المحكم هو الواضح الدلاله الظاهر الذى لا يحتمل النسخ ، أما المتشابه فهو الخفى الذى لا يدرك معناه عقلا ولا نقلا ؟ وهو ما استأثر الله تعالى بعلمه ، كقيام الساعة والحروف المقطعه فى أوائل السور .

وقد عزا الألوسى هذا الرأى للسادة الحنفيه .

(١) البقرة ٢٥
(٢) الزمر ٢٣
(٣) النساء ٨٢

٢ — ومنها أن المحكم ماعرف المراد منه إما بالظهور وإما بالتأويل . أما المتشابه فهو ما استأثر تعالى بعلمه ، كيقام الساعة وخـــروج الدجال والحروف المقطعة فى أوائل السور . وينسب هـذا القول إلى أهل السنه على أنه هو المختار عندهم .

٣ — ومنها أن المحكم مالا يحتمل إلا وجها واحداً من التأويل . أما المتشابه فهو مااحتمل أوجهاً . ويعزى هذا الرأى إلى ابن عباس ، ويجرى عليه أكبر الأصوليين .

٤ — ومنها أن المحكم مااستقل بنفسه ولم يحتج إلى بيان ، أما المتشابه فهو الذى لا يستقل بنفسه ، بل يحتاج إلى بيان اختارة فتارة يبين ، وتارة يبين بكذا لحصول الاختلاف فى تأويله ؟ ويحكى هذا القول عن الإمام أحمد رضى الله عنه .

٥ — ومنها أن المحكم هو السديد النظم والترتيب ، الذى يفضى إلى أثاره المعنى المستقيم من غير منافـ . أما المتشابه فهو الذى يحيط العلم بمعناه المطلوب من حيث اللغة إلا أن تقترن به أمارة أو قرينه . ويندرج المشترك فى المتشابه بهذا المعنى . وهو منسوب إلى أمام الحرمين .

٦ — ومنها أن المحكم هو الواضـــح المعنى الذى لا يتطرق إليه إشكال ؟ مأخوذ من الإحكام وهو الاتقان . أما المتشابه فنقيضه . وينتظم المحكم على هذا ما كان نصاً وما كان ظاهراً . وينتظم المتشابه ما كان من الاسماء المشتركة وما كان من الالفاظ الموهمه للتشبيه فى حقه سبحان . وقد نسب هذا القول إلى بعض المتأخرين ، ولكنه فى الحقيقة رأى الطيبى ؟ إذا قال فيما حكى السيوطى عنه(١) .

---

(١) انظر الاتقان حـ٢ صـ٤

« المراد بالمحكم ما اتضح معناه ، والمتشابه بخلافه ، لأن اللفظ الذى يقبل معنى ، إما أن يحتمل غيره أو . لا الثانى النص أما أن تكون دلالته على ذلك الغير أرجح أولا . الأول الظاهر؟ والثانى إما أن يكون مساوية أو . لا الأول هو المجمل والثانى المؤول، فالمشترك بين النص والظاهو هو المحكم ، والمشترك بين المجمل والمؤول هو المتشابه .

ويؤيد هذا التقسيم أنه تعالى أوقع المحكم مقابلا للمتشابه ، فالواجب أن يفسر المحكم بما يقابله ويعضد ذلك أسلوب الآية ؟ وهو الجمع مع التقسيم لأنه تعالى فرق ماجمع فى معنى الكتاب ، بأن قال « منه أيات محكمات هن أم الكتاب ، وآخر متشابهات »(١) .

وأراد أن يضيف إلى كل منهما ماشاء فقال أولا «فأما الذين فى قلوبهم زيغ » إلى أن قال : « والراسخون فى العلم يقولون أمنابه » وكان يمكن أن يقال:(وأما الذين فى قلوبهم استقامة فيتبعون المحكم) لكنه وضع موضع ذلك « والراسخون فى العلم» لايتان لفظ الرسوخ ، لأنة لا يحصل إلا بعد التثبت العام والإجتهاد البليغ .

فإذا استقام القلب على طريق الرشـــاد ورسخ القدم فى العلم،أفصح صاحبه النطق بالقول الحق،وكفى بدعاء الراسخين فى العلم : « ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب»(٢) .

شاهداً على أن قوله تعالى : « والراسخون فى العلم » مقابل لقوله تعالى « فأما الذين فى قلوبهم زيغ » وفيـه أشـاره إلى أن الوقف تام على قوله « إلا الله » وإلى أن علم بعض المتشابه مختص بالله تعالى وأن من حاول

---

(١) سورة آل عمران الآية ٧

(٢) سورة آل عمران الآية ٨

معرفته فهو الذى أشار إليه فى الحديث المروى عن عائشة رضى الله عنها قالت تلا رسول الله ﷺ لهذه الآية (هو الذى أنزل عليك الكتاب إلى قوله أولو الألباب) قالت قال رسول الله ﷺ فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحـــذرهم(١) ، بقوله فى الحديث (فاحذرهم) .

٧ — ومنها أن المحكم ما كانت دلالته راجحه ، وهو النص والظاهر ، أما المتشابه فما كانت دلالته غـــير راجحه ، وهو المجمل والمؤول والمشكل .

ويعزى هذا الرأى إلى الإمام الرازى واختاره كثير من المحققين ، وقد بسطه الإمام فقال ما خلاصته .

«اللفظ الذى جعل موضوعاً لمعنى، إما ألا يكون محتملا لغيره، أو يكون محتملا لغيره .

الأول النص ، والثانى أما أن يكون احتماله لأحد المعانى راجحاً ولغيره مرجوحاً ، وأما أن يكون احتماله لهما بالسويه ، واللفظ بالنسبة للمعنى الراجح يسمى ظاهراً ، بالنسبة للمعنى المرجوح يسمى مؤولا ، وبالنسبة للمعينين المتساويين أو المعانى المتساوية يسمى مشتركا ، وبالنسبة لأحدهما على التعين يسمى مجملا . وقد يسمى اللفظ مشكلا إذا كان معناه الراجح باطلا ، ومعنا — المرجوح حقاً .

إذا عرفت هذا فالمحكم ما كان دلالته راجحه ، وهو النص والظاهر

---

(١) أخرجه الشيخان .

لاشتراكهما فى حصول الترجيح إلا أن النص راجح مانع من الغير والظاهر راجح غير مانع منه .

أما المتشابه فهو ما كانت دلالته غير راجحه ، وهو المجمل والمؤول والمشكل ، لاشتراكها فى أن دلاله كل منها غير راجحة ، وأما المشترك فإن أريد منه كل معانيه فهو من قبيل الظاهر ، وإن أريد بعضها على التعيين فهو مجمل .

ثم إن صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح، لا بد فيه من دليل منفصل : وذلك الدليل المنفصل إما أن يكون لفظياً وإما أن يكون عقلياً ، والدليل اللفظى لا يكون قطعياً لأنه موقوف على نقل اللغات . ونقل وجوه النحو والتعريف ، وموقوف على عدم الإشتراك وعدم المجاز ، وعدم الإضمار وعدم التخصيص وعدم المعارض العقلى والنقلى ، وكل ذلك مظنون ، والموقوف على المظنون مظنون .

وعلى ذلك فلا يمكن صرف اللفظ عن معناه الراجح إلى معنى مرجوح بدليل لفظى فى المسائل الأصوليـــة الإعتقادية ، ولا يجوز صرفه إلا بواسطة قيام الدليل القطعى العقلى على أن المعنى الراجح محال عقلا وإذا عرف المكلف أنه ليس مراد الله تعالى ، فعند ذلك لا يحتاج إلى أن يعرف أن ذلك المرجوح ماهو ، لأن طريقة تعيينه إنما يكون بترجيح مجاز على مجاز ، وبترجيح تأويل على تأويل ، وذلك الترجيح لا يكون إلا بالدلائل اللفظية ، وهى لا تفيد إلا الظن، والتعويل عليها فى المسائل القطعية لا يفيد، لذا كان مذهب السلف عـــدم الخوض فى تعيين التأويل فى المتشابه ، بعد اعتقاد أن ظاهر اللفظ محال ، لقيام الأدلة القطعيه على ذلك»(١).

---

(١) انظر مناهل العرفان ح ٢ ص ٢٧٢

هذا وقد مثل العلماء للمحكم فى القرآن بناسخه وحلاله وحرامه وحدوده وفرائضه ووعده ووعيده وللمتشابه بمنسوخه وكيفيات أسماء الله وصفاته التى فى قوله تعالى « الرحمن على العرش استوى »(١) ، وقوله : « كل شىء هالك إلا وجهه »(٢) وقوله : « يد الله فوق أيديهم »(٣) وقوله : « وهو القاهر فوق عباده »(٤) وقوله : « وجاء ربك »(٥) ، وقوله : وقوله « وغضب الله عليهم »(٦) وقوله : « رضى الله عنهم »(٧) وقوله « فاتبعونى يحببكم الله »(٨) الى غير ذلك.

واوائل السور المفتتحه بحروف المعجم وحقائق اليوم الآخر ، وعلم الساعة.

نظره فى هذه الآراء :

نحن اذا نظرنا فى هذه الآراء لانجد بينها تناقضاً ولا تعارضاً ، بل نلاحظ بينها تشابها وتقارباً ، بيد أن رأى الرازى أهداها سبيلا ، وأوضحها بيانا ، لأن أمر الإحكام والتشابه يرجع فيما نفهم ، إلى وضوح المعنى المراد للشارع من كلامه والى عدم وضوحه .

وتعريف الرازى جامع مانع من هذه الناحية ، لايدخل فى المحكم ما كان خفيا ولا فى المتشابه ما كان جلياً لأنه استوفى وجوه الظهور والخفاء استيفاء تاماً فى بيان تقسيمه الذى بناه على راجح وموجوح ، والذى

(١) طه : ٥ (٢) القصص : ٨٨
(٣) الفتح : ١٠ (٤) الأنعام : ١٨
(٥) الفجر : ٢٢ (٦) الفتح : ٦
(٧) البنيه : ٨ (٨) آل عمران ٣١

ظهر لنا منه أن الراجح ما كان واضحاً لاخفاء فيه ، وان المرجوح ما كان خفياً لاجلاء معه .

وقريب منه رأى الطيبى الذى قبله حتى كأنه هو ، غير أنه لم يستوف وجوه الظهور والخفاء استيفاء الرازى ، أما رأى إمام الحرمين ففيه شىء من الإبهام .

وكذلك رأى الإمام أحمد لاندرى مامراده بالبيان الذى يحتاج اليه المتشابه ولا يحتاج اليه المحكم .

ورأى ابن عباس يخرج الظاهر من المحكم ، ويدخله فالمتشابه ، مع أنه من الواضحات واحتماله لغير معناه الراجح احتمال ضعيف ، ولايقدح فى ظهوره ووضوحه .

والرأى الثانى بعكس الآية ، فيدخل فى المحكم كثيراً من الحقيقيات ، ويقصر المتشابة على نوع واحد منها ، فيكون تعريف المحكم فيه غير مانع ، وتعريف المتشابه غير جامع ، بالنسبة إلى المذهب المختار ، وهو مذهب الرازى .

والرأى الأول المنسوب إلى الأحناف ، يقصر تعريف المحكم على النص وتعريف المتشابه على ما استأثر الله بعلمه ، ويلزم عليه وجود واسطه لاتدخل فى المحكم ولا فى المتشابه ، ويكون تعريفهما غير جامع بالنسبة للمذهب المختار أيضاً .

الإختلاف فى معرفة المتشابه

وكما وقع الاختلاف فى معنى كل من المحكم والمتشابه الخاصين وقع الاختلاف فى إمكان معرفة ومنشأ هذا الاختلاف إختلافهم فى الوقف فى قوله تعالى « والراسخون فى العلم » هل هو مبتدأ خبره « يقولون » والواو للاستئناف ، والوقف على قوله « ومايعلم تأويله إلا الله » أو هو معطوف و (يقولون) حال ، والوقف على قوله « والراسخون فى العلم » .

فذهب إلى الأول (الاستئناف) طائفة منهم أبى بن كعب وابن مسعود وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، مستدلين بمثل ماروا ه الحاكم فى مستدركه عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه كان يقرأ « وما يعلم تأويله إلا الله ويقول الراسخون فى العلم آمنا به » . وكذا بقراءة ابن مسعود ، أخرج ابن أبى داود فى المصاحف من طريق الأعمش قال فى قراءة ابن مسعود (وإن تأويله إلا عند الله والراسخون فى العلم آمنا به) .

وبما دلت عليه الآية من ذم متبعى المتشابه ووصفهم بالزيغ وابتغاء الفتنه عن عائشة قالت : تلا رسول الله ﷺ هـذه الآية (هو الذى أنزل عليك الكتاب إلى قوله تعالى : (أولوا الألباب) قال رسول الله ﷺ « فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئـك الذين سمى الله فاحذرهم »(١) .

أخرج الدارمى فى سننه عن سليمان بن يسار إن رجلا يقال له صبيغ قدم المدينة فجعل يسأل عن متشابه القرآن فارسل إليه عمر وقد أعد له عراجين النخل فقال من أنت قال أنا عبد الله بن صبيغ فأخذ عمر عرجونا من تلك

(١) أخرجه البخارى ومسلم .

العراجين فضربه حتى دمى رأسه وفى رواية عنده فضربه بالجريد حتى ترك ظهره دبره ثم تركه حتى برأ ثم عاد ثم تركه حتى برأ فدعا به ليعود فقال إن كنت تريد قتلى فاقتلنى قتلا جميلا فأذن به إلى أرضه وكتب إلى أبى موسى الأشعرى لايجالسه أحد من المسلمين وأخرج الدارمى عن عمر بن الخطاب قال أنه سيأتيكم ناس يجادلونكم بمشتبهات القرآن فخذوهم بالسنن فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله فهذه الأحاديث والآثار تدل على أن المتشابه فيها لايعلمه إلا الله وأن الخوض فيه مذموم(١) .

وذهب إلى الرأى الثانى (العطف) طائفة على رأسهم مجاهد ، فقد روى عنه أنه قال عرضت المصحف على ابن عباس من فاتحته إلى خاتمته ، أقفه عند كل آية وأسأله عن تفسيرها . واختار هـذا القول النووى فقال فى شرح مسلم إنه الأصح لأنه يبعد أن يخاطب الله عباده بما لاسبيل لأحد من الخلق إلى معرفته .

التوفيق بين الرأيين بفهم معنى التأويل

بالرجوع إلى معنى (التأويل) يتبين أنه لامنافاة بين الرأيين ، فإن لفظ التأويل ورد لثلاثة معان :

(الأول) صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به وهذا هو إصطلاح أكثر المتأخرين .

(الثانى) التأويل بمعنى التفسير ، فهو الكلام الذى يفسر به اللفظ حتى يفهم معناه .

(١) معنى كلمة دبره فى الحديث حتى جعل ظهره دبره : أى متقرحا من شدة الضرب .

(الثالث) التأويل : هو الحقيقة التى يؤول إليها الكلام فتأويل ما أخبر الله به عن ذاته وصفاته هو حقيقة ذاته المقدسة وما لها من حقائق الصفات، هذا المعنى جاء فى قول عائشة رضى الله عنها كان رسول الله ﷺ يقول فى ركوعه وسجوده « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك ، اللهم اغفر لى » يتأول القرآن . تعنى قوله تعالى « فسبح بحمد ربك واستغفره ، إنه كان توابا »(١) .

فالذين يقولون بالوقف على قوله : « وما يعلم تأويله إلا الله » ويجعلون « والراسخون فى العلم » إستئنافا ، إنما عنوا بذلك التأويل بالمعنى الثالث ، أى الحقيقة التى يؤول إليها الكلام ، فحقيقة ذات الله وكنهها وكيفية أسمائه وصفاته وحقيقة المعاد لا يعلمها إلا الله .

والذين يقولون بالوقف على قوله : « والراسخون فى العلم » على أن الواو للعطف وليست للإستئناف ، إنما عنوا بذلك التأويل بالمعنى الثانى أى التفسير ومجاهد إمام المفسرين ، قال الثورى فيه : إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به فإذا ذكر أنه يعلم تأويل المتشابه فالمراد به أنه يعرف تفسيره .

وبهذا يتضح أنه لامنافاة بين المذهبين فى النهاية ، وإنما الأمر يرجع إلى الإختلاف فى معنى التأويل .

فى القرآن ألفاظ متشابهة تشبه معانيها ما نعلمه فى الدنيا ولكن الحقيقة ليست كالحقيقة ، فأسماء الله وصفاته وإن كان بينها وبين أسماء العباد وصفاتهم تشابه فى اللفظ والمعنى الكلى إلا أن حقيقة الخالق وصفاته ليست كحقيقة المخلوق وصفاته ، والعلماء المحققون يفهمون معانيها

(١) رواه البخارى ومسلم (والآية من سورة النصر : ٣) .

ويميزون الفرق بينها ، وأما نفس الحقيقة فهى من التأويل الذى لا يعلمه إلا الله .

ولهذا لما سئل مالك وغيره من السلف عن قوله تعالى: « الرحمن على العرش استوى »(١) قالوا : « الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة » ، وكذلك قال ربيعة بن عبد الرحمن شيخ مالك قبله : « الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، ومن الله البيان وعلى الرسول البلاغ وعلينا الإيمان » ، فبين أن الاستواء معلوم وأن كيفية ذلك مجهولة .

وكذلك الشأن بالنسبة إلى كيفية أخبار الله عن اليوم الآخر ، ففيها ألفاظ تشبه معانيها ما هو معروف لدينا إلا أن الحقيقة غير الحقيقة ففى الآخرة ميزان ، وجنة ونار . وفى الجنة : « أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى »(٢) . « فيها سرر مرفوعة . وأكواب موضوعة . ونمارق مصفوفة . وزرابى مبثوثة »(٣) وذلك نعلمه ونؤمن به . وندرك أن الغائب أعظم من الشاهد ، وما فى الآخرة يمتاز عما فى الدنيا ، ولكن حقيقة هذا الامتياز غير معلومة لنا ، وهى من التأويل الذى لا يعلمه إلا الله .

(١) سورة طه : ٥
(٢) سورة محمد : ١٥
(٣) الغاشية . ١٣ — ١٦

أنواع المتشابهات

يمكننا أن نوع المتشابهات إلى ثلاثة أنواع :

(النوع الأول) ما لا يستطيع البشر جميعاً أن يصلوا إليه كالعلم بذات الله وحقائق صفاته ، وكالعلم بوقت القيامة ونحوه من الغيوب التى استأثر الله تعالى بها ، وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو »(١) « إن الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب وما تدرى نفس بأى أرض تموت ، إن الله عليم خبير »(٢) .

(النوع الثانى) ما يستطيع كل إنسان أن يعرفه عن طريق البحث والدرس كالمتشابهات التى نشأ التشابه فيها من الإجمال والبسط والترتيب ونحوها .

(النوع الثالث) ما يعلمه خواص العلماء دون عامتهم ، ولذلك أمثلة كثيرة من المعانى العالية التى تفيض على قلوب أهل الصفاء والاجتهاد عند تدبرهم لكتاب الله .

قال الراغب (المتشابه على ثلاثة أضرب : ضرب لا سبيل إلى الوقوف عليه كوقت الساعة وخروج الدابة ونحو ذلك ، وضرب للإنسان سبيل إلى معرفته كالألفاظ الغريبة والأحكام المغلقة . وضرب متردد بين الأمرين يختص به بعض الراسخين فى العلم ويخفى على من دونهم . وهو المشار إليه بقوله ﷺ لابن عباس : (اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل)(٣) .

---

(١) سورة الأنعام الآية ٥٩ (٢) سورة لقمان الآية ٣٤

(٣) انظر مناهل العرفان ج ٢ ص ٢٨١

متشابه الصفات

يتجه لفظ المتشابه أول ما يتجه إلى ما ورد فى القرآن والسنة ، من صفات لله تعالى ، يستحيل حملها على ظاهرها ، حتى كاد العلماء يخصون المتشابه بمتشابه الصفات .

وقد أفردها ابن اللبان بالتأليف فى كتاب خاص سماه « رد الآيات المتشابهات إلى الآيات المحكمات »

وقبل الكلام على المذاهب فيها ، نعرض جملة منها ، ثم نطبق عليها الآراء والتوجيها ؛ فمن هذه الصفات :

١ — وجه الله :

قال الله تعالى : « كل شىء هالك إلا وجه »(١) وقال « كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام »(٢) وقال « واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه »(٣) وقال « فأينما تولوا فثم وجه الله »(٤) . وقال « إنما نطعمكم لوجه الله »(٥) وقال « وما لأحد عنده من نعمة تجزى ، إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى »(٦)

---

(١) سورة القصص : ٨٨ (٢) الرحمن ٢٦ — ٢٧

(٣) سورة الكهف ٢٨ (٤) البقرة ١١٥

(٥) سورة الإنسان ٩ (٦) الليل ١٩ — ٢٠

٢ — يد الله ويمينه :

قال تعالى مخاطبا إبليس « مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدى »(١) وقال « يد الله فوق أيديهم »(٢) وقال « أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون »(٣) وقال « لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شىء من فضل الله وأن الفضل بيد الله)(٤) وقال « وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء)(٥)

وقال تعالى « والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحان الله عما يشركون)(٦)

٣ — عين الله :

قال تعالى « واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا (٧) وقال « وحملناه على ذات الواح ودسر . تجرى بأعيننا جزاء لمن كان كفر » (٨) وقال « وألقيت عليك محبة منى ولتصنع على عينى »(٩) .

٤ — جنب الله :

قال تعالى « أن تقول نفس ياحسرتا على مافرطت فى جنب الله »(١٠)

---

(١) سورة (ص) ٧٥ (٢) الفتح ١٠
(٣) يس ٧١ (٤) الحديد ٢٩
(٥) المائدة ٦٤ (٦) الزمر ٦٧
(٧) سورة الطور ٤٨ (٨) القمر ١٣ — ١٤
(٩) سورة طه ٣٩ (١٠) الزمر ٥٦

٥ — ساق الله :

قال تعالى « يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون(١)

٦ — قدم الله :

قال رسول الله ﷺ ماتزال جهنم يلقى فيها وهى تقول هل من مزيد حتى يضع الجبار فيها قدمه ، فتقول قط قط ، أى حسبى حسبى(٢)

٧ — نفس الله .

قال تعالى « وإذ قال الله ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله قال سبحانك مايكون لى أن أقول ماليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم مافى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك إنك أنت علام الغيوب »(٣) وقال « ويحذركم الله نفسه »(٤)

٨ — مجىء الله وإتيانه وذهابه :

قال تعالى « وجاء ربك والملك صفا صفا »(٥) وقال « هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتى ربك أو يأتى بعض آيات ربك »(٦) وقال « اذهب أنت وربك فقاتلا »(٧)

---

(١) سورة ن ٤٢ (٢) أخرجه البخارى ومسلم عن أنس
(٣) المائدة ١١٦ (٤) آل عمران ٣٠
(٥) والفجر ٢٢ (٦) الأنعام ١٥٨
(٧) المائدة ٢٤

٩ — فوقية الله :

قال تعالى « وهو القاهر فوق عباده »(١) وقال « يخافون ربهم من فوقهم »(٢)

١٠ — قرب الله :

قال تعالى « وإذا سألك عبادى فإنى قريب »(٣) وقال « ونحن أقرب إليه من حبل الوريد »(٤)

١١ — معية الله وعنديته .

قال تعالى « وهو معكم أينما كنتم »(٥) وقال « وهو الله فى السموات والأرض »(٦) وقال « وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله »(٧) وقال « فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون »(٨) وقال « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو »(٩)

١٢ — استواء الله على العرش :

قال تعالى « الرحمن على العرش استوى »(١٠)

(١) سورة الأنعام ١٨ (٢) النحل ٥٠
(٣) البقرة ١٨٦ (٤) سورة ق ١٦
(٥) سورة الحديد ٤ (٦) الأنعام ٣
(٧) سورة الزخرف ٨٤ (٨) فصلت ٣٨
(٩) الأنعام ٥٩ (١٠) سورة طه ٥

١٣ — حب الله وكرهه ، وغضبه ورضاه وفرحه وعجبه وحلمه وحيائه ومكره واستهزائه وفراغه :

قال تعالى : « فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه »(١) وقال « فاتبعونى يحببكم الله »(٢) وقال ﷺ « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه »(٣) وقال تعالى فى الحديث القدسى « وما ترددت فى شىء أنا فاعله ترددى فى نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته »(٤) وقال تعالى : « والخامسة ان غضب الله عليها »(٥) وقال « رضى الله عنهم ورضوا عنه »(٦)

وقال ﷺ « لله أشد فرحا بتوبة عبده »(٧) وقال تعالى « وإن تعجب فعجب قولهم »(٨)

وقال تعالى « إن الله لا يستحى أن يضرب مثلا ما »(٩) .

وقال ﷺ « وأما الثانى فاستحيا فاستحيا الله منه »(١٠)

وقال تعالى « ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين »(١١) وقال « الله

(١) سورة المائدة ٥٤ (٢) آل عمران ٣١
(٣) أخرجه مسلم فى صحيحه عن عائشة من طريق سعد بن هشام .
(٤) أخرجه البخارى جـ ٨ صـ ١٣١
(٥) النور ٩ (٦) البينة ٨
(٧) أخرجه مسلم فى صحيحه جـ ٤ صـ ٢١٠٣
(٨) الرعد ٥ (٩) البقرة ٢٦
(١٠) أخرجه البخارى جـ ١ صـ ٢٣ باب من قعد
(١١) آل عمران ٥٤

يستهزىء بهم ويمدهم فى طغيانهم يعمهون »(١) وقال « سنفرغ لكم أيها الثقلان »(٢) .

تلك النصوص يستحيل حمل الصفات فيها على معناها الظاهر المتبادر للمخاطب لما فيها من المشابهه بالحوادث ؟ المعارض لقوله تعالى « ليس كمثله شيء »(٣) .

وقد اتفق أهل السنه على أن العقائد إنما تؤخذ من الآيات المحكمات أو البراهين العقلية اليقينية . واتفقوا على أنه إذا وجد من الآيات والأحاديث شيء يخالف ظاهره ما علم من الآيات المحكمات ، وشهدت بصحته الأدلة العقلية اليقينيه وجب أن نعتقد فيه أن ظاهره ليس مراداً لله تعالى ولا لرسوله .

واتفقوا على أنه إن كان لهذا المتشابه تأويل واحد كان هو المراد ، كقوله تعالى « وهو معكم أينما كنتم »(٤) لأن الكينونه بالذات مع الخلق مستحيلة قطعاً ، وليس له بعد ذلك إلا تأويل واحد ، هو الكينونة معهم بالعلم والقدرة .

وكقوله تعالى « يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله »(٥) فإن المراد منه فى حق الله وما يجب له

وأختلفوا بعد ذلك فيما إذا كان للمتشابه أكثر من تأويل واحد .

---

(١) البقرة الآية ١٥ (٢) الرحمن الآية ٣١
(٣) الشورى الآية ١١ (٤) سورة الحديد الآية ٤
(٥) الزمر الآية ٥٦

(أ) فقد ذهب السلف إلى :

١ — الإيمان بالمتشابهات ؟ وأنها من عند الله تعالى .

٢ — وإعتقاد أن الظاهر غير مراد ، لقيام الأدلة القطعية على خلافه .

٣ — وتفويض معرفتها إلى الله تعالى ورسوله ، ولا يبحثون فى الكيفية والتفاصيل ، ولا يفسرون ، ولا يؤولون .

ويعبر عن هـذا المذهب بما روى عن الإمام مالك حين سئل عن الاستواء فى قوله تعالى « الرحمن على العرش أستوى » فقال الكيف غير معقول والاستواء غير مجهول والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعه وفى رواية عنه قال : هو كما وصف نفسه ، ولا يقال كيف وكيف ؟ وروى عن أم سلمه قولها فى الآية المذكورة : الكيف غير معقول ؟ والاستواء غير مجهول ، والإقرار به من الإيمان ؟ والجحود به كفر .

وعن ربيعه بن أبى عبد الرحمن ، أنه سئل عن الآية نفسها ، فقال : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، ومن الله الرسالة ، وعلى الرسول البلاغ المبين وعلينا التصديق .

وقال الترمذى : المذهب عند أهل العلم من الأئمة ، مثل سفيان الثورى ومالك ، وابن المبارك ، وابن عيينه ، ووكيع وغيرهم أنهم قالوا فى إرؤيه الله تعالى : نروى هذه الأحاديث كما جاءت ، ونؤمن بها ، ولا يقال كيف؟ ولا نفسر ولا نتوهم .

هذا مذهب السلف من أهل السنة .

(ب) أما الخلف منهم فقد إفترقوا فرقتين :

١ — فرقة ذهبت إلى إثبات صفات لائقة به سبحانه وتعالى عقلا

وشرعا وإن لم نعرف نحن حقيقة تلك الصفات ، وهى صفات زائده عن الصفات المعلومه ، دل عليها السمع لا العقل فهى صفات سمعية .

فيحمل الاستواء على إثبات صفة لله تعالى تسمى الاستواء والله أعلم بحقيقتها . ومثل ذلك يقال فى الوجه واليد وغيرهما .

٢ — وفرقة ذهبت إلى حمل اللفظ إلى أقرب مجاز يصح ، حيث تعذر استعماله فى الحقيقة لأنه ينبغى صرف اللفظ عن مقام الاهمال المؤدى إلى الحيرة .

وقد أطنبت وأسرفت هذه الفرقة فى التأويلات ، وكثير منها ما هو بعيد عقلا وشرعا كتفسير بعضهم لقوله تعال :

« الرحمن على العرش أستوى » إذ قال إن التقدير : الرحمن علا أى إرتفع كلام تم ، ثم إبتدأ — العرش أستوى وهذا التفسير مردود ، لأنه يجعل «على» فعلا ، وهى حرف بإتفاق ، إذ لو كانت فعلا لكتبت بالألف كقوله : « إن فرعون علا فى الأرض »(١) ولأنه رفع العرش ولم يرفعه أحد من القراء و كتفسير بعضهم للآية بأن الكلام تم عند قوله «الرحمن على العرش ، ثم ابتدأ بقوله أستوى له ما فى السموات وما فى الأرض » .

وهو مردود بأنه يغير نظام الآية ولا يزيل نفس الإشكال فى قوله تعالى « ثم أستوى على العرش »(٢) .

هذان رأيان ذكرا فى تأويل الآية الكريمة وإن كان السيوطى ذكر فى تأويل الآيه تأويلات سبع والمقام هنا يقتضى منا أن نضع سمع القارىء

(١) سورة القصص ٤

(٢) أنظر اللآلئ الحسان فى علوم القرآن د. موسى شاهين ص١٦٥

وقلبه على ما ذكر فى هذه المسألة برمتها كما تقتضى أمانة النقل الأنجزأ المسألة فأنقل للقارىء ما قاله السيوطى فى كتابة الإتقان(١) قال ما نصه وتوسط ابن دقيق العيد فقال إذا كان التأويل قريباً من لسان العرب لم ينكر أو بعيداً توقفنا عنه وآمنا بمعناه على الوجه الذى أريد به مع التنزيه وما كان معناه من الألفاظ ظاهراً مفهوماً من تخاطب العرب قلنا به من غير توقيف كما فى قوله تعالى (يا حسرتى على ما فرطت فى جنب الله)(٢) فتحمله على حق الله وما يجب له (ذكر ما وقفت) عليه من تأويل الآية المذكورة على طريق أهل السنة من ذلك صفة الاستواء وحاصل ما رأيت فيها سبعة أجوبة .

إحداها : حكى مقاتل والكلبى عن ابن عباس أستوى بمعنى أستقر وهذا إن صح يحتاج إلى تأويل فإن الاستقرار يشعر بالتجسيم .

ثانيها : أن أستوى بمعنى أستولى ورد بوجهين أحدهما أن الله تعالى مستول على الكونين والجنة والنار وأهلهما فأى فائدة فى تخصيص العرش والأخران الاستيلاء إنما يكون بعد قهر وغلبة والله سبحانه وتعالى منزه عن ذلك (وأخرج اللالكائى فى السنة عن ابن الإعرابى أنه سئل عن معنى أستوى فقال هو على عرشه كما أخبر فقيل يا أبا عبد الله معناه أستولى قال أسكت لا يقال أستولى عن الشىء إلا إذا كان له مضاد فإذا غلب أحدهما قيل أستولى .

ثالثها : أنه بمعنى صعد قاله أبو عبيد ورد بأنه تعالى منزه عن الصعود أيضاً :

(١) أنظر كتاب الإتقان للسيوطى ج ٢ ص ٦

(٢) سورة الزمر الآية ٥٦

رابعها : أن التقدير الرحمن علا أى ارتفع من العلو والعرش له استوى حكاه إسماعيل الضرير فى تفسيره ورد بوجهين أحدهما أنه جعل على فعلا وهى حرف هنا باتفاق فلو كانت فعلا لكتبت بالألف كقوله « علا فى الأرض »(١) والآخر أنه رفع العرش ولم يرفعه أحد من القراء .

خامسها : أن الكلام تم عند قوله الرحمن على العرش ثم ابتدأ بقوله استوى له ما فى السموات وما فى الأرض ورد بأنه يزيل الآية عن نظمها ومرادها (قلت) ولا يتأتى له فى قوله ثم استوى على العرش .

سادسها : أن معنى استوى أقبل على خلق العرش وعمد إلى خلقه كقوله « ثم استوى إلى السماء وهى دخان » أى قصد وعمد إلى خلقها . قاله الفراء والأشعرى وجماعة أهل المعانى (وقال) إسماعيل الضرير إنه الصواب (قلت) يبعده تعديته بعلى ولو كان كما ذكروه لتعدى بإلى كما فى قوله ثم استوى إلى السماء .

سابعها : قال ابن اللبان الاستواء المنسوب إليه تعالى بمعنى اعتدل أى قام بالعدل كقوله تعالى « قائما بالقسط »(٢) والعدل هو استواؤه ويرجع معناه إلى أنه أعطى لعزته كل شىء خلقه موزونا بحكمته البالغة .

انتهى كلام السيوطى .

ومن التأويلات ما هو معقول مقبول ، كقولهم : إن المراد من وجه الله ذاته ، ومن يد قدرته ومن يمينه فضله ، ومن عينه رعايته ، ومن جنبه حقه ، ومن الكشف عن الساق شدة الأمر وعظمته . ومن قدم الله أثر من خلقه ومن نفس الله ذاته أو سره ، ومن مجىء الله واتيانه مجىء أمره أو جنده ، ومن ذهابه ذهاب موسى بتوفيق ربه ،

(١) سورة القصص ٤ (٢) سورة فصلت ١١
(٣) سورة آل عمران ١٨

ومن فوقيته علوه المعنوى وقهره ، ومن قربه علمه وقدرته ، ومن عنديته الزلفى والدفعه ، ومن حبـــه وكرهه وغضبه إلى غير ذلك من صفات الأعراض النفسية لازمها .

وقال الإمام فخر الدين : جميع الأعراض النفسانية ، أعنى الرحمة والفرح والسرور والغضب والحياء والمكر والإستهزاء لها أوائل ولها غايات ، والغضب مثلا أوله غليان الدم بالقلب ، وغايته إراده إيصال الضرر إلى المغضوب عليه ، فلفظ الغضب فى حق الله لا يحمل على أوله الذى هو غليان دم القلب ، بل على غايته التى هى إرادة الإضرار .

وكذا الحياء ، أوله إنكسار يحصل فى النفس وغرضه ترك الفعل ، فلفظ الحياء فى حق الله يحمل على ترك الفعل ، لا على إنكسار النفس .

قال الحسين بن الفضل : العجب من الله إنكار الشىء وتعظيمه .

وخلاصة الفرق بين المذاهب الثلاثة لأهل السنة أن السلف يفوضون تفويضاً مطلقاً ويمسكون عن التفسير ، والمذهب الأخير للخلف يؤول تأويلا مطلقا ويخرج الألفاظ عن معانيها الحقيقية إلى المعانى المجازية ، أما المذهب الثانى فهو وسط بين المذهبين ، فهو ليس بالتفويض المحض ، وليس بالتأويل المفرط ، بل فيه تفسير يحمل اللفظ على صفة لائقة به تعالى ، مع الإمساك عن تفصيلها ، فيكون المراد من اللفظ معلوماً من وجه متشابها من وجه .

لكنه إلى مذهب السلف أقرب منه إلى المذهب الثالث .

وقد حاول ابن دقيق العيد أن يأخذ بالمذهب الأول والمذهب الثالث فقال : إذا كان التأويل قريباً من لسان العرب لم ننكر ، أو بعيداً توقفنا عنه ، وآمنا بمعناه على الوجه الذى أريد به مع التنزيه .

الحكمة من وجود المتشابه فى القرآن الكريم

ولعل السؤال الذى يدور بأذهاننا هو إذا كان القرآن على ضوء ما سبق منقسما إلى محكم ومتشابه فهل فلس فائدة أو حكمة من وجود المتشابه فى القرآن ؟ وقد إلتمسنا الإجابة على ذلك من السيوطى فى كتابه الإتقان حيث قال (والجواب) أن العلماء ذكروا لوقوع المتشابه فيه فوائد منها أنه يوجب مزيد المشقة فى الوصول إلى المراد وزيادة المشقة توجب مزيد الثواب ومنها أنه لو كان القرآن كله محكما لما كان مطابقا إلا لمذهب واحد وكان بصريحه مبطلا لكل ما سوى ذلك المذهب وذلك مما ينفر أرباب سائر المذاهب عن قبوله وعن النظر فيه والإنتفاع به فإذا كان مشتملا على المحكم والمتشابه طمع صاحب كل مذهب أن يجد فيه ما يؤيد مذهبه وينصر مقالته فينظر فيه جميع أرباب المذاهب ويجتهد فى التأمل فيه صاحب كل مذهب وإذا بالغوا فى ذلك صارت المحكمات مفسرة للمتشابهات وبهذا الطريق يتخلص المبطل من باطله ويتفصل إلى الحق ومنها أن القرآن إذا كان مشتملا على المتشابه إفتقر إلى العلم بطريق التأويلات وترجيح بعضها على بعض وافتقر فى تعلم ذلك إلى علوم كثيرة من علم اللغة والنحو والمعانى والبيان وأصول الفقه ولو لم يكن الأمر كذلك لم يحتج إلى تحصيل هذه العلوم الكثيرة فى إيراد المتشابه هذه الفوائد الكثيرة ومنها أن القرآن مشتمل على دعوة الخواص والعوام وطبائع العوام تنفر فى أكثر الأمر عن درك الحقائق فمن سمع من العوام فى أول الأمر إثبات موجود ليس بجسم ولا متحيز ولا مشار إليه ظن أن هذا عدم وقع فى التعطيل فكان الأصلح أن يخاطبوا بالفاظ دالة على بعض ما يناسب ما توهموه وتخيلوه ويكون ذلك مخلوطا مما يدل على الحق الصريح فالقسم

الأول وهو الذى يخاطبون به فى أول الأمر يكون من المتشابهات والقسم الثانى وهو الذى يكشف لهم فى أخر الأمر من المحكمات(١) .

كلمة ختامية

وبعد هذه المعايشة لموضوع المحكم والمتشابه فى القرآن الكريم عشنا من خلالها مع المحكم والمتشابه وآراء العلماء فى هذا الصدد بقى أن أوجه الأذهان إلى ما ينبغى أن يتحلى به كل من يريد أن يخوض فى هذا الفن فأقول وبالله التوفيق مرشداً ومحذراً من الذلل للخائضين فى هذا الأمر دون أن يتسلحوا بسلاح العلم والمعرفة أقول لقد أسرف بعض الناس فى هذا العصر ، فخاضوا فى متشابه الصفات بغير حق ، وأتوا فى حديثهم عنها وتعليقهم عليها بما لم يأذن به الله ، ولهم فيها كلمات غامضة تحتمل التشبيه والتنزيه ، وتحتمل الكفر والإيمان حتى باتت هذه الكلمات نفسها من المتشابهات ومن المؤسف أنهم يواجهون العامة وأشباههم بهذا .

ومن المحزن أنهم ينسبون ما يقولون إلى سلفنا الصالح ، ويخيلون إلى الناس أنهم سلفيون ، ومن ذلك قولهم: إن الله تعالى يشار إليه بالإشارة الحسية ، وله من الجهات الست :

جهة الفوق . ويقولون : إنه أستوى على عرشه بذاته إستواء حقيقيا بمعنى أنه استقر فوقه إستقرارا حقيقياً غير أنهم يعودون فيقولون ليس كاستقرارنا وليس على ما نعرف ، وهكذا يتناولون أمثال هذه الآية .

وليس لهم مستند فيما نعلم إلا التشبث بالظواهر . ولقد تجلى لك مذهب السلف والخلف فلا نطيل بإعادته .

---

(١) انظر الإتقان جـ ٢ صـ ١٣

ولقد علمت أن حمل المتشابهات فى الصفات على ظواهرها مع القول بأنها باقية على حقيقتها ، ليس رأيا لأحد من المسلمين وإنما هو رأى لبعض أصحاب الأديان الأخرى كاليهود والنصارى وأهل النحل الضالة كالمشبهة والمجسمة . أما معاشر المسلمين — فالعمده عنـــدنا فى أمور العقائد هى الأدلة القطعية ، التى توافرت على أنه تعالى ليس جسما ولا متميزاً ولا متجزئا ولا متركبا ، ولا محتاجا لأحد ، ولا إلى مكان ، ولا إلى زمان ، ونحو ذلك .

ولقد جاء القرآن بهذا فى محكماته إذ يقول : « ليس كمثله شىء »(١) ويقول قل هو الله أحـــد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد »(٢) ويقول: « إن تكفروا فإن الله غنى عنكم ، ولا يرضى لعباده الكفر ، وأن تشكروا يرضه لكم »(٣) ويقول: « يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنى الحميد »(٤) وغير هذا كثير فى الكتاب والسنة ، فكل ما جاء مخالفا بظاهره لتلك القطعيات والمحكمات ، فهو من المتشابهات التى لا يجوز إتباعها ، كما تبين لك فيما سلف .

ثم إن هؤلاء المتمسحين فى السلف متناقضون ، لأنهم يثبتـــون تلك المتشابهات على حقائقها ، ولا ريب أن حقائقها تستلزم الحدوث وأعراض الحدوث كالجسمية والتجزؤ والحركة والإنتقال ، لكنهم بعد أن يثبتوا تلك المتشابهات على حقائقها ينفون هذه اللوازم مع أن القول بثبوت الملزومات ونفى لوازمها تناقض لا يرضاه لنفسه عاقل فضلا عن طالب أو عالم .

فقولهم فى مسألة الاستواء الأنفه : إن الإستواء باق على حقيقته

(١) الشورى الآية ١١ (٢) سورة الإخلاص
(٣) سورة الزمر الآية ٧ (٤) سورة فاطر الآية ١٥

يفيد أنه الجلوس المعروف المستلزم للجسمية والتميز ، وقولهم بعد ذلك : ليس هذا الاستواء على مانعرف ، يفيد أنه ليس الجلوس المعروف المستلزم للجسمية والتميز ، فكأنهم يقولون : إنه مستو غير مستو ومستقر فوق العرش غير مستقر ، أومتحيز غير متحيز ، وجسم غير جسم أو أن الاستواء على العرش ليس هو الاستقرار فوقه ، إلى غير ذلك من الإسفاف والتهافت فإن أرادوا بقولهم الاستواء على حقيقته أنه على حقيقته التى يعلمها الله ولا نعلمها نحن ، فقد اتفقنا لكن بقى أن تعبيرهم هذا موهم ، لا يجوز أن يصدر من مؤمن خصوصا فى مقام التعليم والإرشاد . وفى موقف النقاش والحجاج لأن القول بأن اللفظ حقيقة أو مجاز . لا ينظر فيه إلى علم الله وما هو عنده ، ولكن ينظر فيه إلى المعنى الذى وضع له اللفظ فى عرف اللغة . والاستواء فى اللغة العربية يدل على ماهو مستحيل على الله فى ظاهره . فلا بد إذن من صرفه عن هذا الظاهر .

واللفظ إذا صرف عماوضع له واستعمل فى غير ماوضع له خرج عن الحقيقة إلى المجاز لا محالة ما دامت هناك قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلى ... ثم إن كلامهم بهذه الصورة فيه تلبيس على العامة وفتنة لهم .

فكيف يواجهونهم به ويحملونهم عليه؟ وفى ذلك ما فيه من الإضلال وتمزيق وحدة الأمة ، الأمر الذى نهانا القرآن عنه والذى جعل عمر يفعل مايفعل بصبيغ أو بأبى صبيغ ، وجعل مالكا يقول مايقول ويفعل مايفعل بالذى سأله عن الاستواء وقد مر بك هذا وذاك .

لو أنصف هؤلاء لسكتوا عن الآيات والأخبار المتشابهة واكتفوا بتنزيه الله تعالى عما توهمه ظواهرها من الحدوث ولوازمه ، ثم فوضوا الأمر فى تعميم معانيها إلى الله وحده وبذلك يكونون سلفيين حقا لكنها شبهات عرضت لهم فى هذا المقام ، فشوشت حالهم وبلبلت أفكارهم والله

يتولى هدانا وهداهم ، ويجمعنا جميعا على مايحبه ويرضاه آمين . والصلاة والسلام على خاتم المرسلين .

هذا هو ملاك الأمر وجهد الطاقة عرضناه فى موضوع المحكم والمتشابه من مصادر لها قدم راسخة فى هذا المجال وحسبنا أننا للخير أردنا وللحق قصدنا والله الموفق .

المراجع :

١ ـ القرآن الكريم .
٢ ـ الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى .
٣ ـ البرهان فى علوم القرآن للزركشى .
٤ ـ مناهل العرفان للزرقانى .
٥ ـ اللآلىء الحسان فى علوم القرآن د. موسى شاهين لاشين .
٦ ـ مباحث فى علوم القرآن للشيخ مناع قطان .
٧ ـ مباحث فى علوم القرآن د. صبحى الصالح .
٨ ـ مذكرة فى علوم القرآن للشيخ د. على خليل .
٩ ـ صحيح مسلم .
١٠ ـ صحيح البخارى .